

غاية الصوم الكبير

الأرشمندريت ألكسيوس *

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

أيها الأحباء

الصوم الكبير هو ميدانٌ روحي للفضائل، زمنٌ توبةٍ وصلاة، يقظة وحزن، فترة صوم وتنقية للنفس وغفران.

هذه الفترة المباركة بأكملها هي رحلة مقدسة، تقدمها كنيستنا المقدسة سنويًا، لكل مؤمن يسعى للسير مع المسيح المخلص، ليقوم معه ويشارك في ملكوته الإلهي الأبدي. إن كنيستنا هي مثل الأم الحنون بأسرارها الخلاصية وليتورجياتها الإلهية السابق تقديسها، وصلاة غروبها المهيبة، ومدائحها الشعبية لوالدة الإله الفائقة القداسة، وصلاة النوم الكبرى، وقانون التوبة العظيم، وهي تأتي لتوقظنا وتدعونا إلى ممارسة العقّة والصلاة والإحسان على طريق التوبة المنقذة للنفس.

إن للصوم الكبير هذه الغاية المقدسة وهو يذكّرنا بهذه الأشياء يوميًا مع ترانيم التريودي المقدسة: " إن مبدأ الخشوع والتوبة هو التغرّب عن الشرور والإحجام عن الآلام فلنحرض مجتهدين أن نقطع الأفعال الشريرة ونستأصلها" (الأودية الأولى، سحر الاثنين من سبّة الجبن). إن محاربة الشر والخطيئة تتطلب التوبة ونبذ الشر والتحكم بالأهواء والابتعاد عن الأعمال الشريرة. إن الذين يتوقون إلى الله سيدخلون في هذا الصراع وبالتالي سيصيرون مساهمين في النصر النهائي.

ضرورة "أن ننقي ذواتنا من كل دنس الجسد والروح" هي رغبة أساسية لدى كل مسيحي حقيقي، وهذه يمنحنا إياها الروح الكلي قدسه:

- عندما نأتي بثمر يليق بالتوبة،
- عندما نغفر لإخوتنا،
- عندما بقوة الصلاة نتحكّم بأفكارنا غير المنضبطة،
- عندما نتجنب نقد الآخرين وإدانتهم،
- عندما نرحم الفقير ونساعد المتألمين،
- عندما نشارك في الأسرار الإلهية،

- عندما نصلي باسم جميع الناس.

هكذا يأتي سلام الله ويكافئ قلوبنا وأفكارنا بالحضور الإلهي والنعمة.

ترفعنا ترانيم كنيستنا بشكل خاص في هذه الأيام، حيث تزيّننا تراتيل رائعة من الوحي الإلهي، ألقها وسلّمها إلى الكنيسة أبأؤنا القديسون المتوشحون بالله بإيمان وتوقير لمجد الله الثالث وإكرام قديسنا ومديحهم.

في شعر كنيستنا الصلاتي مكانة خاصة للسيدة سيدة العالم، والدة الإله مريم. الثيوطوكيات والمدائح والباراكليسيات إلى والدة الإله، تراتيل خدّم أعياد السيدة، كل هذه المؤلفات من آبائنا القديسين الذين أحبوا والدة الإله وكتبوا الترانيم، عبّرت عن ثروات تضرّع والدة الله من أجل الجنس البشري، كما عن توقير المؤمنين العميق وإيمانهم ومحبتهم لوالدة الإله وأمّ العالم. كان شياخي يحثنا على أن نصلي مديح والدة الإله يومياً، لإكبار اسمها المقدس وتكريمه ولمنفعتنا الروحية وتعزيتنا.

اليقظة واستدعاء اسم الله ووالدته الفائقة القداسة هي فضيلة حاملة للنور، تولّد النور والفرح في حياتنا. وكلما ازداد اختمار وجودنا بالنسك الروحي والصلاة، وبقدر ما يزداد استعدادنا، وبقدر ما نتحمل تجارب سمح الله بها، وبقدر ما نشعر بخطايانا، تأتي نعمة الله وتسكن فينا وتطهر نوسنا وقلبنا من الضمير الشرير.

إن هذا الجهاد المبارك يتتوّج بفرح القيامة، الذي ليس فرحاً فصيحاً وحسب، بل هو أن نشارك في الخيرات السماوية فيما لا نزال في هذه الحياة.

أدعو الله أن تتحول صعوبات هذا الزمان إلى بركات لبلادنا وللعالم أجمع. وفي هذه الأيام المقدسة من الصوم الكبير، والتي تبدأ بنعمة الله، لنكثّف صلواتنا لإلهنا الرحيم والسيدة، كما نفعل هنا على الجبل المقدس، كي يختبر كل واحد منا تحولنا الشخصي بالتوبة، حتى تُمنح فائضاً من الرحمة، كما يقول ربنا، للمؤمنين المتواضعين والبسطاء المطيعين، حتى نكون مستحقين لفرح القيامة.

* الرئيس السابق لدير كسينوفونديون في الجبل المقدس، أثوس

Source: Αγιορειτικός λόγος εν όψει της Αγίας και Μεγάλης Τεσσαρακοστής.
<http://agioritikesmimes.blogspot.com/2016/03/8092.html>